المبحث الخامس
الأغلبية الصامتة

بداية ظهور المصطلح:

استخدم المصطلح بصورة واسعة في القرن التاسع عشر الميلادي للإشارة إلى الأموات، وشاعت عندها عبارة: (انضم للأغلبية الصامتة)، في إشارة إلى أن شخصاً ما تُوُفّي. وقد ذكر العبارة عام ١٩٠٢م قاضي المحكمة العليا الأمريكية، جون مارشال هارلان John Marshall Harlan عندما قال في كلمة له، وهو يتحدث عن الذين لقوا حتفهم في الحرب الأهلية الأمريكية: (لقد مضى منذ وقت بعيد قادة من طرفي الحرب الأهلية، مضوا إلى حيث الأغلبية الصامتة، تاركين ذكرى شجاعتهم الباهرة)[1].

(1) ibid.

obeikandl.com

ويرجع الفضل في انتشار المصطلح بمعناه السياسي والإعلامي للرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون عقب استخدامه له في خطابه الشهير في الثالث من نوفمبر من عام ١٩٦٩م الذي خصصه للحديث عن الحرب في فيتنام، وقد أطلقت عليه بعض وسائل الإعلام «خطاب الأغلبية الصامتة The Silent Majority Speech.

ومما قاله نيكسون في ذاك الخطاب الشهير: (وفي هذا المساء.. أخاطبكم أنتم الأغلبية الصامتة من المواطنين الأمريكيين، وأطلب منكم الدعم والتأييد)[1]. وكان يقصد بـ «الأغلبية الصامتة» في خطابه: الأمريكيين الذين لم ينضموا للمظاهرات الكبيرة ضد الحرب في فيتنام في ذلك الوقت، ولم يشاركوا في الخطاب الإعلامي العام. وكان الرئيس نيكسون وكثيرون غيره يرون أن هذه المجموعة قد حُجبت في الإعلام بواسطة الأقلية ذات الصوت العالي. وهي أقلية كانت تطالب بسحب القوات الأمريكية فوراً من فيتنام، بينما كان الرئيس نيكسون. ومن أيده يرون أن هذه الخطوة ستجلب الهزيمة لأمريكا، وستكون كارثة على السلم العالمي. ومنذ استخدام نيكسون لهذه العبارة أشار الكثير من المحافظين إلى «الأغلبية الصامتة» بوصفها قوة ما زالت تتجاهلها وسائل الإعلام.

(1) http://watergate.info/nixon/silent-majority-speech-1969.shtml

مفهوم الأغلبية الصامتة:

ليس هناك تعريف محدد ودقيق لما يُقصد بالأغلبية الصامتة. فالعبارة ظلت، منذ أن أشاعها بصورة واسعة الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون في خطابه الشهير يوم ٣ نوفمبر ١٩٦٩م، تتداول هنا وهناك من قبل الساسة، والمثقفين، ووسائل الإعلام للإشارة إلى مجموعة ما، يُظن أن صمتها قد يؤدي أو قد أدى بالفعل إلى سيطرة مجموعة أخرى، وهم أقلية على قيادة أمر ما.

تقول بعض المصادر في تعريفها لمصطلح «الأغلبية الصامتة»، ومن بينها موسوعة «ويكبيديا»: إنها تعني غالبية غير محددة من الناس في بلد ما أو ضمن مجموعة ما، لا يقومون بالتعبير عن آرائهم ووجهات نظرهم بصورة علنية»[1].

المجتمعات التي تظهر فيها الأغلبية الصامتة:

تظهر الأغلبية الصامتة في المجتمعات التي تحكمها النظم الديموقراطية أو النظم الدكتاتورية على حد سواء.

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Silent_majority.

أولاً: المجتمع الديموقراطي:

تظهر الأغلبية الصامتة في المجتمع الديموقراطي في حالتين:

الحالة الأولى:

تتكون من شريحة كبيرة من المواطنين المشغولين بهمومهم اليومية ومشكلاتهم الشخصية، وهذه الشريحة يمكن أن تكون من النساء، أو طبقات المجتمع غير المتعلمة، أو سكان الريف، أي غالباً ما تكون شريحة غالبة في مجتمع ما لا تشارك في الحراك السياسي، على وجه الخصوص، ومن ثم لا تؤثر في عملية اتخاذ القرار. في هذه الحالة يتضح أنه ليس بالضرورة أن تكون الأغلبية الصامتة مكرهة على الصمت من النظام السياسي أو وسائل الإعلام، بل ربما تكون الظروف الاقتصادية والاجتماعية هي التي جعلتها تُصنّف بوصفها أغلبية صامتة.

الحالة الثانية:

أن تتعمد وسائل الإعلام – بإرادتها أو بالتواطؤ مع الحكومة – تغييب صوت الأغلبية وإقصاءه على الرغم من وجودها في مجتمع يتمتع مواطنوه بحرية الرأي والتعبير.

ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

١- ما ذكر أيام الرئيس نيكسون، حيث وُجدت أغلبية صامتة، لم تشارك بالرأي والتعبير فيما كان يجري في الحرب الأمريكية في فيتنام في ذلك الوقت.

٢- نجاح الإستراتيجية التي ظل يتبعها الحزب الجمهوري في الولايات المتحدة طوال الأربعين عاماً الماضية في استمالة الأغلبية الصامتة لصفوفه، ومن ثم نجاحه في الحفاظ على قاعدة الحزب.

٣- ما فعله الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الابن ومعاونوه من المحافظين في الترويج لما عرف بالحرب على الإرهاب من تضليل للرأي العام الأمريكي، أو عدم إتاحة الفرصة للأغلبية في التعبير عن رأيها.

ثانياً: المجتمعات الدكتاتورية ذات النظم الشمولية

وهي قسمان:

١- **مجتمع شمولي:** لا يسمح بالتعددية التي تتيح حرية في الرأي والتعبير، وتمارس فيه وسائل الإعلام إقصاءً مقصوداً

لـكل من يخالـف الحكومة أو يعارض توجهاتهـا، كما هو الحال في النظم الشيوعية أو النظم البعثية في بعض البلاد العربية.

٢- مجتمـع شمولي يسمح بالتعددية الصورية (الشكلية): وإنشـاء الأحـزاب السياسـية، ويتيـح قـدراً مـن حريـة الرأي والتعبيـر، كما هـو الحال في بعض النظـم الجمهورية والملكية في البلاد العربية (مصـر سابقاً، والأردن والمغرب على سبيل المثـال). لكن هـذه الملامـح الديموقراطية مقيـدة بتوجهات النخب الحاكمة، ولا تعبر بالضرورة عن رأي الشعب.

الأغلبية الصامتة والإعلام الجديد

منذ أن عرف السياسـيون وصـانعو القرار والمتخصصـون في الإعلام السياسي والرأي العام مفهوم (الأغلبية الصامتة) وهـذا المصـطلح يحظـى باهتمامهـم ودراسـاتهم ومحاولات التعرف إلى العوامل المؤثرة فيه، ووسـائل استنطاق أو إسكات الأغلبية الصامتة.

وقد ظل الحال كذلك عبر تطور وسـائل الاتصـال المختلفة إلى أن ظهر في بيئة الإعلام ما يعرف بوسائل الإعلام الجديد،

التـي أتاحت حرية أكبر للمواطن ليعبر عن رأيه، وألغت الرقابة علـى ما ينشـر، وألغـت الفـروق بيـن الأنظمـة الديموقراطية والدكتاتوريـة المسـتبدة فيمـا يتعلق بحريـة الـرأي والتعبير، وأصبح المواطن هو الرقيب على ما يقول وينشر.

لقد أسـهمت وسـائل الإعلام الجديد في التقليل من حالات ظهور الأغلبية الصامتة في المجتمع، بفضل التقنية الاتصالية التي تجاوزت مفهوم وسائل النشر التقليدية (الصحافة والإذاعة والتليفزيون)، والتي كانت تخضع حرية الرأي والتعبير فيها إلى توجهـات النظم الحاكمة أو المؤسسـات الإعلامية نفسـها[1]، سـواء أكانـت حكومية أم خاصـة، واتخذت الأغلبية الصـامتة مـن هذه الوسـائل منبـراً للتعبير عـن رأيها بعيداً عـن معايير الرقيب الذي كان عنصراً رئيساً في الممارسة الإعلامية طوال العقود الماضية.

(١) تتوجه الحكومات الآن إلى وسـائل الإعلام الجديد لتتعرف على رأي الأغلبية التي لم تكـن تعبر عن رأيها من خلال وسـائل الإعـلام التقليدية التي كانت تخضـع لمعايير الحكومـة فـي وقـت مضـى. تحاول هـذه الحكومـات أن تتعامل مـع واقع الممارسـة الإعلامية الجديدة الذي فرضـته التقنية الاتصـالية الحديثة، فأنشأت مراكز لرصد ما ينشـره المواطنون في هذه الوسائل، ومن ثم تحليله للوصول إلى معرفة التوجهات العامة التي تشغل الرأي العام وتمثل صدارة اهتماماته لتستفيد من نتائج التحليل في التعامل الإيجابي، وأحياناً السلبي، مع تلك التوجهات.

وعلى الرغم من ظهور الإعـلام الجديد وتفاعل المواطنين مع قضايا مجتمعهم ومشكلاته عبر شبكات التواصل الاجتماعي إلا أن الأغلبيـة الصـامتة لا تـزال موجودة، وتظهـر في حالات معينة. وسـبب وجودها هـو أن العوامل التـي أدت إلى ظهورها لا تـزال موجودة، ومن ذلك خـوف المواطن من العقوبة، وعدم الاهتمـام والمبالاة بما يجـري في المجتمع. وربمـا يكون عدم اهتمـام المواطـن بما يجري فـي المجتمع مرتبطـاً بخوفه من عواقـب التعبير عن رأيه، أو اعتقـاده بعدم الجدوى من التعبير عن الرأي، إذا لم يُحدِث أثراً أو تغييراً يرجوه المواطن.

obeikandl.com